ناهض منير الريس

يبعث إلى أحبابه

ثلاث رسائل مفتوحة

الأولى : إلى إخوته في **فتح**

الثانية : إلى إخوته في **الفصائل**

الثالثة : إلى إخوته في **حماس**

غزة المحروسة (صيف ١٤٢٨ / ٢٠٠٧)

الرسالة الأولى إلى الزملاء (سابقا) في فتح

ولا تنقضي أُخُوَّتهم في الله والوطن

بعد التحية :

العشرة لا تهون إلا على ابن الحرام . ونحن وأنتم أبناء حلال والحمد لله . وقد سألني أكثر من واحد من زملاء الأمس : لماذا تشد على يد حماس بهذه القوة كلها ؟ هل هانت عليك فتح ؟ وبعضهم يقولون حسب ما بلغني : لا .. هذا حماس مخبأ في قشوره من زمان !

ولأن بيننا عشرة وأخوة وزمالة سابقة فإنني خصصت هذا المقال لأجيب على التساؤلات . وإذا كنا مختلفين اليوم حقا في الآراء فقد قالها شوقي قديما : اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية .

أيها الزملاء السابقون والإخوة الدائمون :

نعم إنني أشد على يد حماس بقوة ، وأشكر القسام شكرا جزيلا على أنه نجح في تنظيف قطاع غزة من حكم الفئة الفاسدة . وفي الوقت نفسه أفيد أنني لم ألتحق بحماس لا الآن ولا سابقا . ولا أظن أنني سأحاول الالتحاق بها في المستقبل . أقول هذا تقريرا للحقيقة وليس أنفة من هذا الانتماء الذي يشرف أصحابه .

وأضيف بهذه المناسبة المتاحة أنني على كل حال لم أهاجم حركة فتح التي عملت في صفوفها على مدى ثلاثين سنة هي زهرة العمر . ولم أهاجم أي محترم في الحركة . أما أولئك الذين يتقولون الأقاويل لأنني هاجمت الفساد

والفاسدين الذين أساؤوا للحركة وللشعب والذين مارسوا الجرائم وارتكبوها على رؤوس الأشهاد فأظن أنني مهتم بأصحاب النوايا الصافية منهم . أما المستفيدون المحترفون ، والذين فسدت عقولهم وأفهامهم وتربيتهم المعنوية بسبب عملهم في ظل الفاسدين ، وصاروا يعتقدون أن التبعية للاحتلال هي السبيل لضمان اللقمة المغمسة بالعار وأن نهب الناس وقهرهم وسلب مافي أيديهم سلوك بارع ، فأولئك لا أبالي بهم ولا أخشى كيدهم وأراجيفهم !

* * *

وأريد قبل أن أستطرد في الكلام أن يتذكر القارئ العزيز أنني خارج فتح منذ أقال زعران فتح عن طريق قيادة فتح أولئك الذين خاضوا الانتخابات مستقلين ــ وأنا منهم ــ . فكل أولئك النفر الاستقلاليين كانوا يحملون مؤهلات ويملكون خلفيات وسجلات نضالية تثير غيرة الزعران ورغبتهم في استبعاد أولئك النفر عسى أن يكون في ذلك الاستبعاد استقراب ليوم التربع على رأس الحركة براحة تامة .

أما تفسير ما يحدث اليوم من زعل في صفوف بعض الأفراد الفتحويين ولا أقول معظمهم ــ حاشا ــ فهو نوع من العصبية العشائرية . فالأهلي والزمالك أيضا ناديان رياضيان ولكن البعض يجعلهما في مكان العشيرة دون أن يعلم شسئا عن إدارة النادي أو عن أخلاق اللاعبين . وأود أن يتفق القارئ معي على شيء أساسي : وهو أن الانتماء الحركي يختلف عن الانتماء العشائري . فالانتماء العشائري قدر . أما الانتماء الحركي التنظيمي عموما فهو اختيار . فلا حيلة للفرد في العائلة التي ولد ووجد

نفسه يحمل اسمها في شهادة الميلاد . ولكنه يمكن أن يختار الحركة التي ينتمي أو لا ينتمي إليها . وأرى بصراحة أن الناس كلما كانت صلتهم وثيقة وعهدهم قريبا بالعشيرة وبالتقاليد العشائرية تعاملوا مع الشأن الحركي التنظيمي كما يتعاملون مع الشأن العشائري .. فيغضبون للحركة ولو كانت على باطل ويغضبون من خصومها ولو كان الحق إلى جانبهم . أما حين ينتقل الناس اجتماعيا من مرحلة العائلات والعشائر إلى مرحلة أوسع ، أسميها من ناحيتي مرحلة المدينة الكبيرة والعمارة متعددة السكان فإنهم يبدأون في التفكير في انتمائهم الحزبي والتنظيمي بموضوعية ووفقا لبرنامج الحزب والتنظيم .

إن التعامل مع الشأن الحركي بعقلية أو بنفسية عشائرية هو الذي يحمل البعض على النكد والكمد والعصبية إزاء الآخرين . وهو أمر ظاهر لدى البعض من إخوتنا في فتح .

وقد حاولت كثيرا ، بسبب اللياقة واعتبارات الرفقة والعشرة الطويلة أن أتحاشى ذكر فتح بشر أو بخير ، بل ربما ذكرت تاريخها الطليعي بالخير ، وسأواصل المضي على منهجي الذي تمليه عليَّ السماحة الشخصية والوحدة الوطنية .

ولكن ما يجب أن يعنينا ليس الجانب الشخصي الذي يتصل بموقفي من الحركة وأعضائها وخدمتي الطويلة في صفوفها ، ولكن الجانب العام المتصل بتجربة الحركة في الحكم والسلطة وما آلت إليه تلك التجربة حتى حدث ما حدث أخيرا في قطاع غزة وأنهى عهدا غير محمود ولا مأسوف عليه من حكم أحد مراكز القوى التي حكمت باسم فتح والتي أساءت

للشعب وللقضية وللوطن بقدر ما أساءت لحركة فتح . وتلك هي قيادة الأمن الوقائي وبالأخص الثنائي محمد دحلان ورشيد أبو شباك . اللذان استغلا وجودهما على رأس ذلك الجهاز لإقامة دولة داخل الدولة وللتمدد في كل اتجاه ، لا يوقفه شيء ولا يردعه شيء .

* * *

وقد استلم الجهاز منذ بداية تأسيس السلطة الوطنية معابر القطاع : معبر المنطار (تدعوه مراجع الاحتلال كارني) الواقع إلى الشرق من مدينة غزة . ومعبر سوفا إلى الشمال الشرقي من رفح . وهذان المعبران هما اللذان تمر منهما معظم الواردات إلى القطاع والصادرات منه . أي أن جميع حاجات سكان قطاع غزة الذين تجاوزوا المليون وثلاثمائة ألف نسمة تمر من تحت رقابة موظفي دحلان وأبوشباك . وقد حصلا على وكالة شركة كبرى للتأمين وساهما في شركة أخرى . وكان ثالثهما منذ وقت مبكر خالد اسلام صاحب الأفكار التجارية والسياسية المتنوعة والعلاقات المشبوهة مع رجال مخابرات إسرائيليين (وقيل إن اسمه محمد رشيد وقيل بل برهان عبد الحق والله أعلم !) الذي بدأ أولى عملياته بالاجتماع إلى أصحاب واحدة حصرا من شركات تجارة الوقود في إسرائيل ، وحصر تعامل السلطة في قطاع غزة بها من خلال إدارة خاصة تشكلت لهذا الغرض (قطاع عام) وحدد نسبة ربح شركات التوزيع وصار الباقي كله يدخل في حسابات مخصوصة استخدم لها اسم الرئاسة وعنوانها للتغطية على حقيقة ما يجري . ويتحدث أهالي قطاع غزة حديثا مدعما بالوقائع عن احتكارات المتاجرة ببعض السلع لا سيما مواد البناء من

اسمنت وحصمة وحديد وجير لصالح التاجرين الرئيسيين ويتحدثون — مثلا — كيف جرى رفع سعر طن الحصمة من أيام الاحتلال المباشر حين كان التجار يستوردونه من التاجر اليهودي مباشرة إلى بعدما دخلت الحصمة ضمن الاحتكارات الوقائية . ناهيك عن خدمات الرفع والنقل الموضعية التي يدفع المستفيدون أجورها فتعود أيضا إلى جيوبهما . وقد عرف هذان منذ وقت مبكر حاجة من يعمل في جمع المال وجمع المعلومات في وقت واحد إلى جهاز قمع . فشكلوا فرق الموت التي كانت تفخر باسمها ، والتي وضعوا في فوهتها أولاد بعض العائلات والعشائر الكبيرة من كل حي من أحياء البلد ، لكي لا يهابوا أحدا وإنما يهابهم الناس .

إن هاتين الخطوتين لاكتساب قوة المال وقوة القمع : أعني خطوة الاحتكار وخطوة تشكيل الفرقة المذكورة ترتبت عليهما سلسلة آثار وتوابع .

* * *

فلما اقترنت التجارة بالقوة .. قوة السلطة وقوة التهديد المسلح .. فقد فهمها بعض التجار بسرعة .. فهرعوا إلى التاجرين الكبيرين ، لعرض المشاركة في صفقات أو في تجارات مستديمة . وقال لي أحد الذين قابلوا أحدهما بضع مرات : لم أقابله مرة إلا وجدت عنده بعض التجار .

أما التجار الذين لم يعرفوا كيف يلعبون هذه اللعبة فانتهى أمرهم إلى الإفلاس أو إلى هجر الملعب .

وكان من آثار نجاح هذه الاحتكارات أن انتقل خالد اسلام إلى العمل مع متمولين ورجال استخبارات إسرائيليين سابقين في البورصات وأسواق

المال العالمية . وهو ما تحدثت عنه الصحف الإسرائيلية بعد قليل . وانتقل كل من الشريكين المحليين إلى آفاق أخرى كالعقارات ومحطات البترول وشركات الباطون والشقق السكنية والمواد التموينية ومقاولات البناء . و تراكمت ثروات الشريكين يوما بعد يوم وسنة بعد سنة حتى تعدت الملايين . واشترى كل منهم فيللا فارهة لسكناه ، ولم يتوقفا قط عن التمدد في مجالات التجارة والأعمال المالية .

إن أهمية هذا المثل لم تتوقف عند أصحابه المذكورين . إذ تطلع القياديون البارزون الآخرون (الصف الثاني) الأقل أهمية من الثنائي الأول إلى نصيبهم من الثروات . ووجدوا الطريق أمامهم معبدا وسالكا ، ولا شك أن الإسرائيليين راقبوا ذلك بسرور بالغ لأنه ليس هناك حليف للاحتلال أحسن من ضعفاء النفوس الطامحين إلى الثروة والجاه والسلطان . فاستخدم الإسرائيليون مركز جيشهم الممسك بالمداخل والمخارج والمعابر لوضع ختم مخابراتهم السري على ثروات جديدة كانت تنمو في الخفاء ، ولكن تحت رقابة مكتومة مستمرة من رجال المخابرات الإسرائيليين الكامنين في المعابر .

لم يبق واحد من ذلك الصف القيادي إلا صارت له خميرته الخاصة من الثروة والأرصدة في البنوك ، حتى انتهى الأمر بكبيرهم الذي علمهم السحر لأن يقوم بتأسيس بنك جديد في مدينة غزة !

هكذا وجدنا طبقة جديدة من أصحاب الملايين تتشكل في أقل من ثماني سنوات . وبينما بدأت الأزمات تمسك بخناق الغالبية العظمى من سكان القطاع ، ظهرت إمارات الثراء المستجد على هذه الطبقة الجديدة . ونطق

لسان حالها سكرانا بالشعور بالقوة والتفرد والتطلع الأول للانقلاب على الرئيس عرفات بقوله ((لن يرهبنا العجوز القابع على شاطئ بحر غزة)) !!! وكانت تلك أول مرة ينكشف فيها الستار عن حقيقة النزعة للانقلاب والاستبداد بالسلطة .

* * *

ولم تتوقف سلسلة الآثار أو المتتالية الاجتماعية الناجمة عن فساد هذه الطبقة عن التوالد أثرا بعد أثر . وفي وقت مواز تقريبا بدأ مرافقوهم وأفراد الفرقة إياها في (الهبش) لكي يصبح لهم شيء مما أصبح لأسيادهم . وقد بحثوا عن مجالاتهم بأنفسهم وأقبلوا عليها غير هيابين في هذا الموسم السانح . وتألفت عصابات متداخلة بين أجهزة الأمن ، واشتغلت شغل المافيات والعصابات تجمع المال من كل سبيل : كلما رأوا صانعا ضعيفا فرضوا عليه (الخاوة) . وكلما شاهدوا سيارة جميلة قطعوا الطريق على صاحبها واستولوا عليها . وكلما رأوا بيتا مغلقا مهجورا فتحوا أبوابه عنوة واحتلوه ، أو قطعة أرض غاب صاحبها جاؤوا ليلا فبنوا سورا حولها ، وزوروا أوراقا صفراء ، وادعوا ملكيتها وربما قسموها قطعا وباعوها لمن يشتري . ولم تنج أملاك الحكومة من شرورهم واستغلالهم . حتى كادت الحكومة تصبح بلا أملاك . وقد استنفر هؤلاء الأتباع والمرافقون جميع لصوص البلد العاديين : لصوص الأراضي ولصوص البنوك ولصوص مكاتب العملة ولصوص المنازل .. الخ .. وصار بعض زعماء المافيات بالأجهزة هم المرجعية التي يقصدها جميع اللصوص للحماية ولإخراجهم من الضيق ، كما صاروا بطبيعة الحال (

الشيخ نبك) الذي تصب في بحيرته الحصص المقدمة للكبار عن أعمال هؤلاء الصغار الذين تحت حمايته .

هكذا تشكلت حالة أوجدت في البلد مناخا تدور فيه النخب الشقية من اللصوص والزعران كالوحوش السائبة التي تنهش البعض وتعض البعض وتنطح البعض ! وفي ظل هذه الحالة وهذا المناخ انتقلت جرثومة السعار إلى جميع ضعفاء النفوس في شتى المهن وفي شتى الحارات وضمن شتى العائلات في البلد . ما يكاد صبيان في حارة يتشاجران حتى يبرز أبواهما بالسلاح الذي هو عهدة من الحكومة ، فيطلقان النار عن قرب أو عن بعد ويصيبب أحدهما الآخر أو يصيب المارة العابرين . وما يكاد صاحب بسطة يحتل رصيفا أو شارعا أو جزءا من مفرق طرق حتي يصبح مالكا يتصرف في ملكه وقد يبيعه إذا شاء لغيره ، والويل لمن يقترب منه . إن المسلحين المستأجرين لحمايته يظهرون فورا ببنادق الأجهزة ورصاص الأجهزة فيشنفون الآذان بالأصوات البهيجة الصادرة عنهم وعن أسلحتهم . وما يكاد رجل يلاحقه زعران قاع المدينة ينكر أن لديه مالا حتى يصرعه الأزعر المحسوب على الجهاز الأمني وعلى العائلة الكبيرة ، فلا يتجاسر شهود العيان على الشهادة بل يطلقون سيقانهم للريح .

* * *

ووصلنا ذات حين إلى ما أطلقوا عليه الانفلات الأمني ! وصدرت تصريحات عن مسؤولين عديدين ، بينهم الأخ أحمد قريع وبعده في وقت آخر الأخ نصر يوسف تقول إن مصدر الانفلات الأمني هو الأجهزة الأمنية

وإن إحصاءات الشرطة تقول إن ٩٥ % من الجرائم ارتكبت من قبل منتسبين في الأجهزة الأمنية .

في تلك المرحلة اتسعت دائرة (الحالة) الفالتة اتساعا رهيبا فهبطت مسلكية بعض العشائر ومخاتير العشائر وتشجعت على (الانحساب) على الجهاز الأمني وتعزيز روح العدوان والعصبية العشائرية المستندة إلى مسلحي العشيرة والمساندة لزعيم الجهاز . حتى تجرأت هذه العشائر في مشكلات ومعارك بعضها مع بعض على تصرفات هجومية لا تعبأ بدم المارة في الشوارع ولا تستجيب لجهود الصلح ولا تقتصد في استخدام كل الأسلحة والذخائر المتوفرة لدى أفرادها والتي هي في الحقيقة والواقع أسلحة الأجهزة نفسها .

هل هناك مجال للتساؤل : كيف لم تتحرك قيادات الأجهزة لضبط أسلحتها على الأقل ، إن لم تتحرك لإصلاح ذات البين بين المتقاتلين — وهذا هو واجبها الطبيعي إزاء مسؤوليتها عن الأمن العام والسكينة العامة — ؟

إن تلك القيادات اللعينة التي سميت قيادات في غفلة من التاريخ وما هي إلا مجموعة من التجار المتاجرين بكل شيء لم تتحرك قصدا لأنها كانت تريد المجتمع كله أن ينخرط في اشتباكات لا تنتهي ، لأنها أرادته أن ينشغل بذلك عن مراقبتها ومتابعة ما تفعله من اتجار في كل شيء . وكان من مقاصد كبيرها أيضا أن تنفلت الأمور مزيدا من الانفلات لكي يأتي يوم يبايعه فيه ممثلو الشعب على الرئاسة والزعامة مقابل سيطرته على غول العائلات وزعرانها وشكمه للحالة المتدهورة لكي يقال إن الأمور لم تنصلح إلا حين توج ملكا .

أهـــي العائلات وحدها التي بلغت مرحلة العصابات العدوانية غير المبالية بشيء غير الجهالة التي استحوذت على الرؤوس ؟

* * *

كـــلا .. لقـــد صـــار تشكيل العصابات (ظاهرة عامة) تستند إلى (ثقافة المافيا) وتلد مافيات أخرى دون توقف .

صـــار كل من يريد أن يقصد دائرة حكومية أو بلدية بغرض إجراء معاملة مـــن المعـــاملات يستحضر معه مجموعة (شباب) مسلحين فتكون مجرد رؤيـــتهم معـــه كفيلة بتذليل كل عقبة وإقناع أي مسؤول أو مدير بالتوقيع على المعاملة وإنجاز الطلب فورا .

لقـــد ماتـــت الحكومة . مات الضمير . مات الحق بجميع مظاهره وازدهر الـــباطل بجمـــيع مظاهـــره . وصارت المافيات هي حقيقة المجتمع وهي الوحيدة الرافعة رأسها والمطلقة لسانها في وجه كل حق وكل صواب .

لم يكن ذلك طبيعة الفلسطينيين يوما . ولم تكن تلك أخلاقهم .

وحقـــيقة الأمـــر أن انتشار الظاهرة الوسخة لم يكن دليلا محتوما على أن جميع من شكلوا مافياتهم الصغيرة كانوا أشرارا بالضرورة . كلا ! لقد كان الكثير منهم يشكل مافيا ظرفية أي مرتبطة بالظرف الذي يتطلبها ويحتاجها لأن (الموضـــة) صارت هكذا وعلى سبيل المثال لأن المسؤول أو المدير إذا لـــم يكـــن معك الثلاثة أو الأربعة المسلحون فإنه لا ينظر في طلبك بل يأخـــذ فـــي تطبيق القانون عليك ! بل من الطريف أن بعض هذه المافيات الظرفية ربما قامت أولا من باب الشهامة والنجدة لكي تعين صديقا مزنوقا في حاجة . ولكن علينا أن لا ننسى أنها ربما استمرت واشتغلت بمقابل ،

وربما استمرأت ذلك واتخذته تجارة دون رأسمال ، على أن المافيا الكبيرة التابعة للزعيم الكبير كانت إذا علمت بأمرها تقتضيها حصة (الشيخ نبك)

* * *

ولم يقنع كبير المافيات كلها بكونه رجل الأمن الأول ورجل المال والأعمال الأول في القطاع حتى ساوره الوهم بأنه يجب أن يرث الرئيس الذي صنعه ونصبه .. هذا الرئيس الذي اكتشف أن الأمريكيين هم الذين يدفعون صبي الأمس ، فقال قولة مشهورة : ده طلع له اسنان بتعض ! وكان قد بلغه أن صبيه شن عليه وعلى قرينته هجوما مقذعا في أحد فنادق إحدى العواصم العربية بعدما هاجمه ذات مرة سابقة وتبنى فكرة (إصلاح السلطة الوطنية) . وعقـــد اجـــتماعا في قاعة كبرى بغزة تحدث خلاله عن الإصلاح بينما كـــان يقـــف خلفه حرسا رموز فرقة الموت ، ما دعا أحد المستمعين إليه حـــين نطـــق بكلمـــة الإصلاح لأن يصيح قائلا : مين يصلح مين ؟! وكان الهجـــوم علـــى شـــخص الرئيس والتكلم عن الإصلاح بمثابة تمهيد آخر للانقلاب على الرئيس حالما تتم الترتيبات .

كانـــت الفكـــرة المهووســـة ــ فكـــرة الانـــتقال من دور المليونير وتاجر المعلـــومات إلـــى دور الـــرئيس ــ نكـــتة في نظر البعض الذين تداولوها مستذكرين أنه ليس في سجل الرجل ما يبرر له الامتلاء بهذا الوهم إلا أن الأمـــريكيين قد ألقوا الوهم في روعه من خلال وحيهم غير الطاهر وغير المقـــدس . ومرت الفكرة في دور الوزارة والوزير فصارت لها أسنان هي الأخرى . وأطلق عليها صاحبها تعبيرا سمجا هو (الطموح) و (الطموح

مش عيب) . وكان ذلك أكبر مما تحتمله معدة اللغة . فتقيأت اللغة نفسها احتجاجا .

ومنذ استدل الأمريكيون على الرجل منذ وقت غير معلوم ، وأخذوا يكررون زياراتهم له في بيته بالرمال الجنوبي ، أجروا معه نقاشات طويلة ، ويقول مساعد وزيرة الخارجية رايس إن الرجل نبههم دائما إلى خطورة حماس وضرورة مواجهتها بالقوة . وليس من الصعب أن نتخيل ما تلا ذلك التنبيه الشديد من ازدياد الثقة فيه والتنسيق معه . وكان نجاح حماس في انتخابات كانون الثاني يناير ٢٠٠٦ في الانتخابات قد جاء بمثابة جردل ماء بارد على أحلام الرئاسة وأوهامها ، فإذا بالحالم الواهم يفيق على صدمة واهتزاز ، ولم يضبط نفسه لحظة واحدة ، فخرج في اللحظة التالية يحاول استئجار متظاهرين بالمال يحتجون على ذلك وينكرونه ويؤيدون الانقلاب على نتيجة الانتخابات .

* * *

هذه نقطة في بحر الفساد الذي غرقنا فيه . حكم الفرد . حكم القلة البوليسية المرتبطة بالأجانب ....

هذه القلة من شباب فلسطينيين ، سبق لهم أن كانوا موقوفين في سجون الاحتلال أو مناضلين مطاردين ، أصبح لهم بعد اتصالهم بالأمريكيين من الذكاء المسخر في خدمة الشر ما جعلهم يبنون الجهاز الإداري للسلطة الوطنية الفلسطينية تحت تأثير فكرة (دولة داخل الدولة) . فقد نصبوا أناسا من طرفهم أو من معارفهم ، ناهيك عن أقربائهم وأنسبائهم ، في جميع مراكز (مفاصل) الوزارات والإدارات والأجهزة . وكانوا باسم

الأمن والولاء يحملون كشوفا كاملة من الأسماء للتعيين والتوظيف ، حتى في الأجهزة التي أنشأها الرئيس لتكون عينه على الفساد الإداري والمالي . وكانت كلمتهم في ديوان الموظفين بمثابة أوامر . وكانوا حريصين على جمع (كونترولات) عن الوزراء كبار الموظفين ومفاتيح الوزارات . وفي السنة الأخيرة قبل الانتخابات كانوا قد دفعوا أعدادا من كوادرهم للتغلغل في الإدارات والأجهزة التي لم يكونوا قد سيطروا عليها بعد . حتى جهاز المخابرات الذي أراده الرئيس الراحل بعيدا عنهم نجحوا في اختراقه والتأثير عليه .

أما المافيات الفرعية التي نشأت في البدء ظواهر منفصلة في أماكن غير غزة المدينة ، فقد جيء بها وجرى شراؤها وإعادة إطلاقها لتكون ذراعا آخر من أذرع الشر والانقلاب .

ومن نافلة القول أن نقول إنهم اجتهدوا لأبعد مدى كي لا ينجح أي فرد من حماس خاصة ومن الحركات الدينية عامة في الحصول على الوظائف . وكان التوظيف في السلطة خاضعا لتقارير الأمن من قبل الأمن الوقائي والمخابرات ، زيادة في التثبت والتحوط . ولما كانت الأحوال في أراضي السلطة الوطنية قد ضاقت شيئا فشيئا ، وأبواب الرزق قد أغلقت شيئا فشيئا فإن التوظيف في السلطة بالواسطة أصبح الباب الأوسع للرزق . واستأثرت وساطة الأمن الوقائي بأكثر التعيينات وأحسن الوظائف . وكان الحرمان نصيب الشريحة الإسلامية وحدها ، وهي التي تبلغ وأنصارها النصف الآخر من الفعاليات السياسية على الأقل .

وباسم من هذا كله ؟ باسم فتح !!

باسم فتح هذه الأخطاء والأوزار والمظالم . وباسم فتح قتل القاتل وارتشى المرتشي ونهب الناهب واحتكر المحتكر ولم يكن ممكنا في مجتمع صغير كمجتمعنا أن يخفى شيء على الناس ، فلما دعي إلى انتخابات عامة توجه الناخبون إلى صناديق الاقتراع بنية مبيتة اشترك فيها حتى أفراد من فتح نفسها لإسقاط فتح . أليس كذلك ؟ أكان معقولا في السنوات الأخيرة أن تكون قيادة حركة فتح في قطاع غزة هي بعينها قيادة جهاز الأمن الوقائي ؟! في أي مكان في العالم ، بل في أي بلد من بلدان العالم الثالث تكون قيادة تنظيم الحزب الحاكم هي قيادة الجهاز الأمني ؟

ولمصلحة من (مثلا) تسلب صلاحيات رجل متوازن مثل أحمد حلس شيئا فشيئا وتشن عليه حرب تنتهي في عهد السيد عباس باستبعاده من قيادة الساحة ؟ ولماذا يستبعد ؟

علينا أن لا ندع عصبية العشيرة تحول بيننا وبين الرؤية ، ولا ينصر فتح من يتعصب لها بالباطل ولكن ينصرها من يعيدها إلى طريق الحق . وقد كان ينبغي أن تكون لدى المنتمين إلى فتح حساسية كافية بحيث يفهم الجميع أن ما جرى في الوطن هو أن هؤلاء اتخذوا الانتماء إلى فتح تجارة ، وظلوا يتسللون حتى ركبوها وحتى صاروا هم قيادتها في قطاع غزة في نهاية المطاف . وكانوا قبل ذلك يمارسون نفوذهم عليها من بعيد . لكنهم ثابروا حتى حصلوا على فرمان السلطان بإقطاعهم إياها وسط صمت اللجنة المركزية وأمانة سر المجلس الثوري . وكان لكل فريق منهم سبب للصمت ، وكل تلك الأسباب كانت تنبع من الاعتبارات الشخصية وليس الوطنية ولا الثورية ولا الموضوعية . ولم يكن الصمت جائزا مع فظاعة

التخريب الذي أصاب البنى التحتية والعلوية للمجتمع وعقيدته وأخلاقه .

أما القواعد فكان من تحصيل الحاصل أن لا تتحرك لأنها أساسا غير مؤطرة وغير معتنى بها ، ولأنها لا تعرف بشكل واضح ما يترتب على ذلك التخريب .

ما أحوج الحركة لتقييم ما حدث سياسيا واقتصاديا وقانونيا وأخلاقيا . ولكن التقييم صعب وصعب جدا إذا ظن الإخوة في فتح أن عليهم أن يداروا على العيوب والسلبيات خشية أن تستغل حماس الفرصة وتكسب الورقة . إن هذا التفكير غير صحيح بالمرة . فالعيوب والسلبيات هي بمرتبة جرائم وطنية . ويجب (فرز) المسؤولين عنها بكل شجاعة أدبية والإعلان عنهم متهمين أمام محكمة وطنية ، وتلك هي الطريقة المجدية بل الطريقة لعدم تحميل حركة فتح بمجموعها مسؤولية ما جرى . وإذا شئتم الحقيقة والنصيحة ، فلا أمل لفتح في مستقبل أفضل إلا إذا انتقدت نفسها ذاتيا بطهارة وجدية وعزم على فتح صفحة جديدة .

* * *

إن ما عجزنا عشر سنوات في مجلسنا التشريعي الذي كانت غالبيته الساحقة من فتح عن وقفه واستئصاله أو على الأقل منع التدهور ، قد جاءت حماس وقضت عليه في يومين أو ثلاثة أيام لا أكثر .. ! وذلك بالحزم والجد وبالهيبة التي هي أساس القانون . إنني شخصيا أعتز بأنني في مداخلاتي العلنية في المجلس التشريعي ومقالاتي المنشورة في جريدة الحياة الجديدة قد نبهت وحذرت ووصفت وأشرت إشارات واضحة (ولم يكن ناقصا إلا أن أذكر الأسماء) وعلى الرغم من عدم ذكر الأسماء فقد

عـرفوا أنهـم المقـصودون فشنوا عليَّ حملة قذرة وذلك بأن وصفوني بصفاتهم الشخصية ! وقد ذهب ذلك كله أدراج الرياح !

لقـد خيل للجميع أن الفلتان الأمني والاستيلاء على المال العام قدر مقدور في غزة لا سيما أن الجميع كانوا يعرفون أن أيدي أمريكا في الطبخة وقد بـدا للأمـريكيين الذين دفعوا في السنة الأخيرة وحدها مائة مليون دولار أنهـم أقاموا بواسطة أعوانهم برجا عاليا وقلعة حصينة لتنفيذ سياساتهم البوليسية المضادة لمصالح الشعب العربي الفلسطيني . بل إننا نحن أبناء الـبلد أصـابنا أمـام ذلك إحباط كبير . وإذا بهذا كله يصبح كما قال أحد المعلقين برجا من ورق وبيت عنكبوت منهار شأنه شأن مشاريع السياسة الأمريكية وتنصيب الكرازايات في الشرق الأوسط .

والجمـيع يرون الآن أن الحالة راقت وأن الفوضى انحسرت وأن المافيات الظرفية والمتأصلة المتجذرة ذوات الملايين ، وعصابات اللصوص الفائعة ، وتطـاول السفلة على النظام والمرور والشوارع والأرصفة وما إليها قد انحسر بانقلاع القلة التي استنبتت وتعهدت وحمت ورعت ذلك النبات السام في مجتمعنا الفلسطيني المستهدف أصلا من الاحتلال وأجهزته . وأنا أرى أن واجبـنا رقم (١) ، واجب كل فلسطيني حر ومخلص وموضوعي أن يطلـب مـن حكومة الوحدة الوطنية تفكيك بقايا وفلول المافيات التي هي الاحتياطـي الطبيعي والطابور الخامس للفساد والجريمة والخيانة . وبذلك تكمل هذه الحكومة مهمة أساسية في صالح البلاد والعباد .

ولا أشـك من ناحيتي أن الخلاص من الخيانة والفساد أمر في صالح فتح قبل غيرها . وإنني أصدق أن حماس لا تهدف إلى الخلاص من فتح . لأن

مـن الأفضل سياسيا لحماس نفسها ـ على الأقل ـ أن تكون إلى جانبها ألوان أخرى من فصائل وطنية ، وليس من صالحها أن تنفرد بالأمور .

وأخيرا لا آخرا إنني أناشد الجميع داعيا إياهم ليتذكروا :

- ألم تكن التجهيزات جارية منذ شهر نيسان إبريل الماضي في المنتدى لـشن حرب على حماس والانقلاب على نتيجة الانتخابات التي جعلتها أكثرية في المجلس التشريعي ؟
- ألم يذهب مئات الشباب من فتح إلى البلدان المجاورة للتدريب دون أي علم وأية علاقة للحكومة القائمة ؟
- ألـم نعلم جميعا من أبنائنا العاملين في السرايا وفي المنتدى بغزة عن الأسلحة التي جاءت من الخارج في الشهور الأخيرة واستلمها دحلان ووضعت تحت تصرفه ؟
- ألـم نقرأ الوثيقة الأمنية المفصلة (مشروع دايتون) التي نشرت في الـصحف وحـددت تـاريخ الخامس عشر من حزيران يونية للتمهيد للحرب الأهلية وحددت آخر تموز يولية لضرب حماس . وهي بالطبع لـم تذكر كلمة الحرب الأهلية ولا كلمة حماس بالنص والحرف ولكن معناها كان لا يترك مجالا للشك .
- ألا نتذكـر كلام دحلان بعد الانتخابات فورا حين خرج في مظاهرة ضد نتيجة الانتخابات . وألم نستمع إلى التسجيل الصوتي الذي يتحدث فيه عن الترقيص البلدي وعن تقليل قيمة كل من يقبل من فتح أن يشترك مع حماس ؟

إن الحـق يقـال أيهـا الإخوة . ثم تذكروا السموم التي راحت الإذاعتان المعروفتان تنفثهما وتشتملان على الروح التفريقية التقسيمية الانفصالية الانقلابية .. فمن هم الانقلابيون حقا ؟؟ ولصالح من كان انقلابهم يجهز ؟ تذكروا يا إخوتي أخيرا أنني طالما ذكرت وطالما نبهت ولم أسكت على أي إجرام وذلك أنني لم أكن شيطانا أخرس في الماضي ولن أكون يوما ، حتى يسترد الوديعة صاحبها !

الرسالة الثانية :

إلى الإخوة والرفاق في الفصائل الفلسطينية

إخوتنا الكرام :

بعد التحية .

أدرك صـعوبة التحدث وإقناع إخوة ذوي أيدولوجيات وأحزاب وتعميمات تنظيمية ومبادرات تحليلية واستنتاجية خاصة لا أشاركهم إياها . ولكنني مع ذلـك كـنت ومـا زلت على اتصال بالكثيرين منذ أيام الأردن وأيام لبنان وسـوريا إلـى اليوم . لأن بيننا نحن الفلسطينيين رابطة عميقة تقربنا مهما باعدتنا الأفكار والآراء .

سـأقول مباشرة إنني مندهش من مواقفكم حيال ما جرى في قطاع غزة في الـشهر الماضـي ! وإن تقديـري لسجلاتكم النضالية وتاريخكم في الثورة الفلسطينية يدفعني إلى محاورتكم حول هذا الشأن .

أنـتم جمـيعا شاهدتم ولمستم وسمعتم وعاينتم ما حدث في قطاع غزة في الـسنوات الخمـس الأخيـرة بشكل خاص . أعني حلول الأجهزة الأمنية ومؤسسة رئاسة الأمن الوقائي بخاصة (وليس حركة فتح ولا حتى الشباب المناضـلين فـي الأمن الوقائي) في قمة مركز القرار السياسي في البلد ،

ونخرها في البنيان الوطني السياسي والبنيان المعنوي الأخلاقي واستباحتها لنفسها المال العام والخاص وحمايتها القتلة والمنفلتين من عناصرها .

أن أولئك العناصر كانوا مسؤولين عن ٩٥ % من الجرائم وأعمال الإخلال بالأمن والتفلت من النظام والقانون (التي أطلق البعض عليها تسمية الفلتان الأمني مبهمة دون إشارة إلى فاعل) . ولا بد أنكم تفهمون وتقدرون أن الحالة التي سادت قطاع غزة فترة لا تقل عن خمس سنوات ماضية متتالية ، ودخل خلالها المال الأمريكي إلى القطاع بملايين الدولارات ، كانت من أشد الفترات سوادا في حياة قطاع غزة .

لقد ابتلينا بالحصار والتضييق والتطويق والتجبر والترويع من قبل العدو ، وابتلينا بالظلم والفوضى الضاربة أطنابها على كل ناحية وفي كل شبر من هذا البلد .

وقد مرت على الشاشات صور الشهداء المحترقين في سياراتهم ، وعرف الجميع بالعقل أن هناك خللا واختراقا أمنيا غير محدود يجعل في وسع غرفة عمليات جيش العدو أن تتلقى إخبارية من عندنا ، فترسل طائرة أو صاروخا على الفور وتقتل القائد أو الكادر المتحرك في الشارع أو الموجود في بيته خلال دقائق معدودات . ولم تقل الفصائل شيئا في صدد هذا الموضوع الخطير الذي يمكن أن يضعف المقاومة . ولم تتساءل عما تقوم به الأجهزة الأمنية العديدة إن لم توقف الجواسيس عند حد . لا بل إن الجميع كانوا يعرفون أن هؤلاء الذين يستولون على ثلثي الموازنة العامة للسلطة الفلسطينية يعملون في كل شيء عدا الأمن ، فهم تجار ومقاولون ونجوم مجتمع وزعماء سياسيون تظهر تصريحاتهم على الصفحات الأولى

للصحف . نعم .. هم يشتغلون في كل شيء إلا الأمن . بينما السرطان الذي طلع في رأس السلطة وانتقل إلى مجمع أعصابها ينتشر إلى الأحياء والمخيمات والجمعيات والعائلات ..الكل يقاتل الكل .. والبغض والشكوك والأحقاد تستوطن جميع الشرائح .. والإحساس بالظلم والقهر يسمم الحياة .

لقد أفسدوا علينا بلدنا وأفسدوا مجتمعنا وعمت الفوضى والاضطراب كل شيء . فلم يعد هناك نظام في الشارع ولا في السوق ولا في دوائر الحكومة . وسجلت ملفات الشرطة العديد من وقائع القتل التي تضاعفت أضعافا . وكانت تحدث لسبب واه أو دون سبب على الإطلاق بطرا وفجورا واستهتارا لا غير .

وانتشرت أعمال الاعتداء على الأفراد و(تقشيطهم) في الشارع أو في السيارة . وجرى اختطاف الأشخاص وطالب الخاطفون بالفدية . واختطفت السيارات على قارعة الطريق . ومات بعض الناس جراء الإصابة بالرصاص الطائش وهم في بيوتهم .. ولم يستطع أحد قط أن يضع حدا لإطلاق آلاف الطلقات في الأفراح ومئات آلاف الطلقات في الجنائز لا فرحا في الأولى ولا حزنا في الثانية ولكن بطرا وإسرافا وسماجة على حساب المال العام .. الخ .. الخ .. وطاف بلطجية العائلات المدعومون ببلطجية الأجهزة (يتسلبطون) على المشاغل والمخازن والدكاكين والبنوك ويتقاضون (الخاوة) دون أن يحسبوا حسابا لشيء . ولم تعد البلد بلدا ولكن غابة .

ولم تعد هناك شرطة على الإطلاق . ثم تطورت الأمور منذ حوالي سنتين وامتنعت مراكز الشرطة الموجودة شكليا عن تلقي البلاغات والشكاوى .

وصـــارت الشرطة تنصح المتقدمين إليها أن يذهبوا إلى المختار كبير عائلة البلطجي المتهم . وحل قضاء العرف والعادة محل النيابة والمحاكم ومارسه أحـــيانا من لا يفهمون فيه ولا يعرفون العدالة . وجرت اعتداءات مشهورة علـــى رجـــال النـــيابة والقضاء وأبدى هؤلاء خوفهم وحذرهم من ممارسة أعمـــالهم كمـــا ينبغي وواصلت الأجهزة الأمنية تدخلها في أعمال القضاء والنيابة دون تهيب .

إن كل مواطن في قطاع غزة دون استثناء قد ضاق ذرعا بالحياة كلها ذات حـــين وســـاورته الرغبة في الرحيل عن البلد . ووصلنا إلى وقت أصبحت الناس فيه تمتنع عن الخروج من بيوتها إلا لضرورة ملموسة .

إخوتنا ورفاقنا :

إنني أحمل احتراما حقيقيا لكل فصيل من فصائلنا وكل قائد له تاريخه في الخدمة العامة والفصائل الوطنية والإسلامية . وبودي أن أصوغ ما أريد أن أقوله بألطف طريقة ممكنة ولا تفهموني خطأ. ولكنني لا أملك إلا أن أسألكم : أين كنتم ؟ وأين كانت أصواتكم ؟ وكيف لم تشعروا بضرورة عمل شيء إزاء هذه المظالم والسفالات وإفساد مجتمع المقاومة ؟

لقـــد كنـــتم تعلمون بأن الأجهزة ــ وقيادة الوقائي بالذات ــ وراء كل هذه الـــبلايا والـــرزايا . وكنـــتم تتكلمون بفصاحة في المسائل الخاصة بالثقافة السياسية والحزبية والمسائل الكبرى دائما .. و .. و .. دون أن تنتبهوا إلى المسائل الصغرى .. التي تهم الجمهور وتكدر الحياة اليومية للناس .

ولـــم تقولوا للمخطئ أنت مخطئ ناهيك عن أن تقولوا للمجرم أنت مجرم . ولم تغضبوا ولم تعربوا عن موقف غاضب . ولم تسجلوا وثيقة جريئة ضد

هؤلاء الذين يعيثون في الأرض فسادا . وكان بعضكم يمازح نجوم الأجهزة وأكابرمجـــرميها بطـــريقة عرضية ، مزاحا يعني به المازح :نحن نعرفكم ونعـــرف ممارساتكم . ومع ذلك يتبادل (القفشات) وإياهم ، ولا يكشرعن أنـــيابه دفاعـــا عن الشعب الذي تتنطح الفصائل ويتنطح الزعماء لقيادته . ولعلهـــم فسروا تصرفات المجرمين على أنها (اجتهاد) من جانب فصيل وطني.

إن الفصائل اليوم ليست مجرد تنظيمات فدائية كما كانت بالأمس عندما كنا فـــي الأردن أوفـــي لبنان . ففي ذلك الزمن لم يكن للفصائل الفلسطينية أن تـــنوب عن الحركة الوطنية في أي من البلدين بمقاربة الشأن الداخلي . أما وقـــد دخلـــت الفصائل إلى الوطن وصار لها أناس في الحكم بالإضافة إلى أناســـها فـــي المنظمة وفي المجلس المركزي ، فقد أصبحت العناية بالشأن الداخلي ومقاربة الشأن الداخلي واجبا من جملة واجبات الفصائل الأساسية . وبالفعـــل تبـــنت الفـــصائل في الانتخابات الأخيرة برامج انتخابية تتحدث وتستفيض في الحديث عن نظرتها إلى الشؤون الداخلية . ولكن لنفرض أن بعض الثوار قال : ما لنا وللأوضاع الداخلية ، فنحن لا نريد ما يشغلنا عن المقاومة ويجب أن يكون تركيزنا على المقاومة وليس على شيء آخر . إذن لقلـــنا لـــه : بل لا بد لك أن تعنى على الأقل بأن لا تأتيك طعنة من الخلف وأنت تتطلع للأمام .

إن مـــا قامت به الطغمة المستترة خلف الاختصاص الأمني من مظالم كان معلـــوما للناس . وما أحدثته من إفساد في المجتمع كان ملموسا ومفضوحا ولا يجـــوز السكوت عليه . وقد بلغ حدا مس صحة المجتمع وقيمه الوطنية

التـــي لا وجـــود للمقاومة إلا بها . لا بل إن ممارسات تلك الطغمة أفسدت العلاقات الاجتماعية ووحدة الشعب وسلمه الداخلي ، وجعلت بعضه فرائس لبعض .

بتـــنا فـــي قطـــاع غزة عنوانا للفوضى . وانطلق عنف غير محدود وغير مسيطر عليه . وفي الوقت الذي كانت أجهزة الأمن في بلدنا تأكل الأخضر واليابس وتجلـــس على المعابر بديلة عن الجمارك والضرائب وكل شيء يخـــص المال العام ، وفي الوقت الذي كانت لدينا أعداد هائلة من الشرطة ومـــن مختلف أنواع وتسميات الأجهزة كان الخروج على القانون يبدو على شـــكل عاصـــفة هوجاء ثم انفلاتا أو فلتانا كما أسموه . (وفي الحقيقة تفلتا شاملا من أحكام القانون) وإمعانا في الإجرام من قبل فرقة الموت وأتباعها وحلفائها من لصوص المدن وقطاع الطريق الذين نادى نفيرهم : أن تعالوا إلـــى العمـــل فإن الغنيمة باردة وإنكم أنتم أهل المرحلة وإن حاميكم موجود على رأس الأمور كلها .

لقد كان مما يروع ويخجل الإنسان من نفسه أن يأتي رجل مكلوم قتل ولده فـــي الشارع أمام الناس ، ولم يرض شاهد واحد أن يشهد ، لأن القاتل كان ينتمي في وقت واحد إلى جهاز أمني وإلى عائلة كبيرة .

كـــان أمرا محزنا ومتناقضا أن الشعب الذي يقدم أبناءه الشجعان للدفاع عن البلد يقع فريسة الذئاب المحليين . وأحسست بالخطورة الشديدة لأن ذلك كان يشير إلى تغير أصاب منظومة القيم بحيث بات للخوف سلطان يفوق سلطان الـــضمير والدين وتقاليد الشجاعة الفلسطينية التي هي العدة الأولى في وجه مـــشاريع الاحـــتلال . وقد أخجلني وآلمني للغاية بوصفي نائبا في المجلس

التشريعي ووزيرا للعدل ذات مرة أن تدخل مجموعة أرسلتها الطغمة الفاسدة إلـــى قيادة الشرطة وإلى المدير العام للشرطة في مكتبه بغزة فتعتدي عليه وتحقـــره ثـــم تقـــتل أثناء مغادرتها المكان شرطيا يدعى محمد شحتو دون جريرة ولمجرد إرهاب أي تعيس يفكر في اللحاق بهم . وأخجلني وأنا وزير للعدل أن لا تتجاسر النيابة العامة ربما حتى اليوم على مجرد فتح تحقيق في الحـــادث . وعندما رفعتُ الأمر إلى اجتماع مجلس الوزراء وشكل المجلس وفـــدا لرفع الأمر إلى الرئيس لم يكن لذلك نتيجة في نهاية المطاف . وقبل ذلك قتلت المجموعة ذاتها الشاب محمود فاروق البورنو في ساحة فلسطين وســـط مدينة غزة ولم تقم النيابة أيضا بمجرد فتح تحقيق في الموضوع لأن الخـــوف كـــان أقـــوى من الضمائر المهزوزة لدى أصحاب الأمانات الذين فرطوا في أماناتهم وخالفوا القسم الذي أقسموه على الولاء للقانون والعدالة .

لـــم يكـــن شـــيء من ذلك كله سرا على أحد . ولم يكن فرد بعينه ــ حتى الـــرئيس نفـــسه ــ قادرا على التصدي ووقف هذا (المد) الإجرامي الذي اتخذ شكل العادة المستحكمة . ولكنني أقول إنكم من جهتكم أيها الإخوة كنتم مقصرين ، لأن لديكم قوى مسلحة ، ولكم مصلحة في تأمين ظهر المقاومة وصيانة صحة المجتمع وحماية القيم . وأنتم لستم شركاء في أرباح المافيات .. ومع ذلك بقيتم صامتين ، وإذا تكلمتم تكلمتم في القضايا السياسية الكبرى كأنكم لم تشاهدوا ما يجري ولم تسمعوا به .

مـــن ذلـــك كلـــه تـــوقعتُ أن تنظروا إلى ما قامت به حماس بوضعها حدا للمافـــيات وحكـــم المافيات ومراكز قواها وثقافتها في المجتمع نظرتكم إلى

عمـــل إنقاذي عظيم استطاع أن يستقرئ روح البلد وما يدور في الخواطر والأذهان والتمنيات .

وقـــد كان الواجب المسارعة إلى تأييده والإعراب عن الشعور بأن الجميع مـــشاركون ولـــو بقلـــوبهم ، وذلـــك أضعف الإيمان . أما موقف التوسط والوسطية هنا فلا مجال ولا مبرر أخلاقيا له .

فالـــشعب عانـــى الأمرين من النظام الذي كان قائما ومعتمدا على ركنين : الأول فرقة الموت والثاني دولارات أمريكا بيد دحلان . والبلد كانت ذاهبة ومـــنحدرة بسرعة إلى هاوية السقوط في مستنقع تغدو فيه الغالبية العظمى مؤمنة بخمسة أمور هي غاية في الانحطاط :

ـــ الأول أن أولئك الذين تؤكد الظواهر أنهم أدوات في يد عدونا ويد الحلف المعادي لقضيتنا والذين يتلقون الدعم بالملايين يجوز لهم أن يكونوا مقبولين سياســـيا واجتماعيا ، بل ونجوما في المجتمع ، متطلعين إلى الصعود على ظهره .

ـــ الثاني أنه يمكن السكوت حين نتحول إلى نظام بوليسي في خدمة أعوان الأجنبي حليف العدو .

ـــــ الثالث أن لا يغضب أحد للمظالم التي تحدث وتمس الناس بالنظر إلى هيمنة الخوف على الرقاب .

ـــ الرابع أن يحسب كل واحد أن ما يحدث للآخرين غير مهم ما دام رأسه بخير .

ـــــ الخـــامس رؤيـــة الانقـــسام الاجتماعي يتفاقم والبلد تنقسم إلى حارات والحارات إلى عائلات والعائلات إلى أفخاذ . والكل عدو الكل .

إن صـــحة المجتمع وسلامة منظومته النفسية والوجدانية ليست شيئا ثانويا بالنـــسبة لمن يعنيه الشأن العام . ولا جدوى من الكلام عن الكلمات الكبيرة والـــشعارات الكبيرة إذا كان النسيج الاجتماعي قد تعرض للفتوق والتهتك ، وصارت أمام الشبان الصغار نماذج (يحسبونها رموزا للنجاح وقد يفكرون في تقليدها ما دامت تتصرف خارج الإطار الوطني ولا تلقى الردع أو على الأقل الزجر من قبل محترمين مثلكم) .

قد يقول البعض : إنما التزمنا الحياد من أجل خاطر فتح وجماهيرها . وهذا خطأ . فلم تكن فتح هي التي فعلت ما فعله جماعة الدولارات وفرقة الموت . وأعتقد أن ما قاله الأخ هاني الحسن عضو اللجنة المركزية ومن قبله الأخ اللـــواء عثمان أبوغربية نائب القائد العام للتوجية الوطني والسياسي ، ثم ما قالـــه مؤخـــرا الأخ فاروق القدومي أمين فتح كان انعكاسا لرأي قواعد فتح التـــي لـــم يـــصبها خبال الدعايات التي تستنفر في الناس حس (العشيرة) التنظيمية وليس الحس (الوطني) التنظيمي . وكان أجدر بالحريصين على خاطر فتح وعلى مستقبلها أن يكون لهم رأي يضغط باتجاه تصحيح المسار ومراجعة النفس وإعمال مبدأ النقد الذاتي .

وسبق أن تحدثت مجموعة الكوادر القياديين الذين فصلهم السيد عباس وأتباع الرئاسة وامتيازات الرئاسة وأموال الرئاسة ولكن أبو اللطف رد اعتبارهم . وقد تحدثوا بما فيه الكفاية عن مشكلات الحركة ودعوها إلى نقد ذاتها ولكن وجـــود السيد عباس في سدة الحكم منع الصحافة عموما كما منع صحافتكم حتى من الإشارة إلى مذكرة أولئك الشباب .

نحـــن ما زلنا نود أن نذكر السيد عباس بالاحترام الواجب لمركزه كرئيس للفلـــسطينيين وذلـــك احتراما للمنصب نفسه . ولكن ذلك لا يعني بحال من الأحوال أن تنطبق علينا وعليكم الآية الكريمة ((فاستخف قومه فأطاعوه)) . فليس منكم من لا يعرف معرفة تامة أن ما فعله ويفعله بالقانون الأساسي الفلـــسطيني يعني الجميع . وإن العبث بالقانون بحيث يستبيح أحد لنفسه أن يتذرع بمواده للتغطية على رغبة عصبية في الانتقام من الخصوم إنما يدمر أســـاس القانون كما قال القاضي يوجين قطران وأستاذ القانون أنيس القاسم في وصف تصرف الرئيس وكما هو واضح على نحو فاقع وصارخ وجارح لكل ذي إلمام بسيط بالقانون . فالحقيقة القانونية لها علاقة بالمنطق ولا يمكن أن تمر الديكتاتورية الواضحة أبدا بوصفها اجتهادا .

أنـــتم شركاء في العملية السياسية أولا وقادة للفلسطينيين في زمانكم ثانيا . ولكـــم قـــسطكم مـــن المسؤولية عما يحدث في جميع الأحوال ثالثا . ومن البديهـــي أن كـــل شـــريك في الوحدة الوطنية وفي العملية السياسية حارس مفترض على القانون الأساسي .

قـــد يكون من الصعب على الشرفاء في فتح أن يتكلموا الكلام اللازم . وقد رأيتم على كل حال أن شخصية قوية مثل اللواء جبريل الرجوب لم يصمت بينما حساسيات الانتماء العشائري تعمي بصائر الكثيرين . وإن اصطناع لهجـــة وسطية بين الحق والباطل وبين النظام والفوضى وبين الديمقراطية والديكتاتورية ليس تصرفا جديرا بالقادة .

وأنـــتم يا إخوتنا في الفصائل في الوقت الحاضر بيضة القبان . فلا تخذلوا شعبكم ولا تسمحوا بالتصرفات العصبية الانتقامية أو بتجنيد محافل منظمة

التحريـــر لحساب الرئيس ضد حكومة الوحدة الوطنية بغزة . فالأمور لن تستقيم إلا بجمع الفريقين وأنتم معهم على طاولة الحوار الحتمية .

الرسالة الثالثة : إلى الإخوة في حماس

السلام عليكم ورحمة الله :

لـــست بحاجـــة إلى أية مقدمات لمخاطبتكم . فقد خاطبت منكم قبلا أفرادا أصـــدقاء . وشرفتموني بإعارتي منابر من منابر إعلامكم ومنابر محافلكم جنوبا وشمالا في قطاعنا الحبيب . وقد تكلمت بالحق عن عملكم الإنقاذي انطلاقـــا من موقف يمتزج فيه الحب مع الموضوعية . وهذا أقل واجب . وإنكم بما قدمتم أهل لكليهما .

وبـــودي في هذا المقال أن أهدي إليكم عيوبكم لكي تكتمل نصرتي لكم في الموقف الذي أنتم فيه .

فـــي موقفكم هذا أصبحتم ونحن معكم كما قالها طارق بن زياد " أضيع من الأيتام على مأدبة اللئام . فالبحر من ورائنا والعدو أمامنا " . لقد فعلتم ما هو حق وعدل في قطاع غزة . وذلك (ذنب عظيم) ، أثار عليكم كل الذين حبكوا بواسطة العملاء والأموال حالة داخلية مزرية تغني العدو المتربص بنا على المدى الطويل عن دفع ثمن الدم إذا واجهنا بنفسه . نعم ! لقد نقل العـــدو حـــربه إلـــى داخل جبهتنا . والمغفل من يجهل أن الفساد والخيانة والظلـــم والفوضـــى هـــم أعوان العدو وعملاؤه وأذرعته . لقد كره العدو وكـــرهت أمـــريكا أن تنـــصلح حياتنا وتنتظم أمورنا بعدما سهروا طويلا لتشكيلها بحيث نتآكل داخليا ونصبح مؤهلين للهزيمة النهائية . ولم يخرج

الأوروبيون من جلدهم الاستعماري الصليبي فواصلوا حصارهم ومقاطعتهم وحربهم المعلنة على قطاع غزة .

لا غنـــى لكم بالتالي عن اثنتين : اصطفاف الناس خلفكم ، وتنظيم القوى تنظـــيما محكما لا يدع فرصة للطابور الخامس أن يلعب بذيله ، بل يحقق الاستفادة من جهد كل رجل وكل امرأة من الصامدين .

وهناك شرائح من الناس الذين لا يحبونكم ، وليسوا كلهم من أهل الباطل . ونعرف طبعا أن رضاء الناس غاية لا تدرك ، لا سيما إذا طمح المرء إلى إجمـــاعهم . والحـــديث هنا ليس عن إجماع ولكن عن شرائح مهيأة بحكم تاريخها أو ثقافتها أو تكوينها الذاتي لموقف قريب منكم . ولكن الحاصل عكـــس ذلك . ولا مفر من القول إن موقفهم راجع إلى خطئكم وليس إلى خطئهم . فما هو هذا الخطأ ؟

أظن أنه ذلك الشعور الذي ينتاب أبناء التنظيم بأنهم مختلفون عن الآخرين وأنهـــم أفضل من الآخرين . وأبادر إلى التفريق بين الإحساس بالاختلاف الـــذي يـــزرعه التنظـــيم فـــي تربية الفرد ليحمله على التحلي بالفضائل والتـــصرف بما ينفع المجتمع ــ وذلك هو التمايز المطلوب والمرغوب ــ وبين الإحساس بالاختلاف الذي يؤدي إلى التعالي أو الابتعاد عن الناس أو المن عليهم أو التقوقع ضمن دائرة الأعضاء الآخرين .

هـــذا النوع الثاني بعيد في الحقيقة عن رسالة التنظيم وبعبارة أخرى بعيد عن عقيدة الإسلام .

هـــناك حـــديث أيضا عن المساعدات العينية كالطحين أو غيره من المواد التموينية التي يقدمها التنظيم أحيانا إلى الحمساويين . ومعلوم أن الرمادة

التي نعيشها شملت الجميع بالضنك . ويقول البعض إن جيران الحمساويين يستشعرون المرارة لأن حماس التي هي الآن حكومة الجميع تفضل محازبيها على الآخرين الذين ازداد عناؤهم بسبب شدة الحصار المتولد عن وجود حماس في السلطة ..! وأعتقد أنها تكون سياسة أرشد وأجدى لو أن التوزيع ــ ولو بحصص أصغر ــ شمل الآخرين . ويكون أجمل لو أن الحمساوي الذي أتاه الخير نزل عن شيء منه لجاره .

ومن العيوب المحسوسة أنكم حين اتجهتم إلى شيء من التعويض على الحمساويين المحرومين سابقا من التوظيف ، فأصدرتم قراراتكم بتعيين البعض ، أصبح لديكم ميل إلى إشغال الوظائف المفصلية بكوادر حمساوية إجمالا على الرغم من أنهم لم يكونوا الأليق بالوظيفة دائما ، وكان بعض غير الحزبيين وهم قريبون منكم في الخلق والدين أليق بالوظيفة المفصلية ممن نصبوا فيها . وأنتم تعرفون حساسيات الأقدميات الخ ..

ومن الأمور التي تحدثت عنها أوساط غير معادية أصلا أن بعض الأعضاء عندكم ممن هم أبناء عائلات وعشائر ، ممن شاركوا في الهجمات على معاقل الطغيان يوم ١٤ سارعوا إلى إنقاذ أقاربهم الموظفين في تلك المعاقل من طائلة العقاب ، في حين تعرض غيرهم ممن لا أقارب لهم أو من أبناء العائلات الصغيرة غير ذات الشأن إلى عقاب مروع ! والمأساة أنه تصادف أن هؤلاء جيران أولئك في الحارة نفسها . وقد دعوناكم أكثر من مرة إلى إجراء مصالحات حقيقية وتعويض الضحايا تعويضا مناسبا . فكان كارهيكم أسرع منكم إلى العمل في هذا المجال

أخيرا ــ لا آخرا ــ إنكم انفردتم الآن بالحكم والسلطة الحقيقية ، إلا أنكم لم تضعوا نظاما إداريا صالحا لتسيير الأمور في جميع الإدارات التي تتعلق بمصالح الجمهور علما بأن الحياة لا تتوقف . وليس كل من صادف فوضى أو روتينا أو سوء تصرف متفهما لعذركم وحداثة عهدكم .

على حكومة الوحدة الوطنية ــ بقيادة حماس ــ أن تكمل العمل الذي تعهدت به وبدأت في تنفيذه . فالمافيات لم تمت . ولا يمكن أبدا أن تتوب . وهي كامنة وتنتظر عودة الروح ورسائل المؤسسين الواصلين لكوندوليزا المتضمنة مددا من المال والسلاح والتشجيع على أمل أن تعيد الأمور إلى ما كانت عليه . (فعلى الرغم من ثمانين مليون دولار أخيرة دفعتها أمريكا للأجهزة الأمنية في رام الله بينما من عادة أمريكا أن تبخل ولا تجود إلا بالقطرة في الشؤون الإنسانية يجب أن لا يتمكن هذا المال من إعادة المافيات إلى قطاع غزة المنكوب باسم الأمن والتنسيق الأمني).

إن مصالح الجمهور لا تنتظر . وعلى الجميع أن يجسدوا اهتمامهم بمراعاة تلك المصالح عمليا مثلما يتكلمون عن احترام الجمهور والحرص عليه نظريا وخطابيا ؟

ولا شك أن لديكم قاعدة علمية من أساتذة الجامعات ومن الكفاءات في الداخل والخارج .كما أن لديكم قاعدة شعبية عريضة لا تتوفر لأحد آخر . وبجب أن تكون هناك طريقة للاستفادة من هذه الإمكانيات النادرة للقفز بسوية الإدارة والتعامل مع الجمهور كما يحدث في البلدان التي مرت بطور الثورة الإدارية .

إنكم بحاجة إلى جهود خلاقة في مجال الإدارة والتعامل مع الجمهور بطريقة تحمل تغييرا حقيقيا يكون مكسبا من مكاسب سلطتكم .

مؤلفات أخرى بقلم ناهض منير الريس

كلمة في الكيان الفلسطيني	رسالة سياسية	1963
حرب العصابات	ترجمة عن الإنجليزية	1965
عندما يزهر البرتقال	مجموعة شعرية	1978
حقيبة قائد اللواء	قصة للناشئين	1981
زيتون الرامة	قصة للناشئين	1981
أنشودة القسام وقصائد أخرى	مجموعة شعرية	1982
أوزان باسمة	مجموعة شعرية انتقادية	1983
ماذا ناخذ بالمفاوضات	كتاب سياسي	1983
رجال السياسة الأحياء في الكيان الصهيوني	كتاب سياسي	1985
غناء الى مدن فلسطين	مجموعة اغنيات شعرية	1986
فان جوخ	ترجمة عن الإنجليزية	1989
نظرات في هموم الوطن	كتاب سياسي	1998
ألف عدو خارج البيت	كتاب سياسي	2000
فلسطين في الزمن الحاسم	كتاب سياسي	2005
ممالك النارنج	شعر	2007

أقاصيص للأطفال والناشئين - المجموعة الأولى 1987

1- عرس في الغابة
2- في أوقات الفراغ
3- الفائز
4- نصف الحلم
5- ثوب من قوس قزح
6- الدرع والمكر
7- حسن وحسان يحبان الطيران
8- صعود الجبال
9- اليمامة والزهرة الصفراء

أقاصيص للأطفال والناشئين - المجموعة الثانية 1989

1- الساحرة ودواؤها العجيب
2- حيلة الحجلة الأم
3- العقرب وأم أربعة وأربعين والحية
4- زلابية في الشتاء
5- خالد يقاوم الصهاينة
6- البطة والأرنب يفسدان حيلة الثعلب
7- الجدة وحفيدها الذي يشتهي كل شيئ
8- سوسن والقطة والحية
9- الجنيات الثلاثة في حقول الربيع
10- الحذاء السحري النطاط
11- سباق الأرنب والبطة
12- حوازير الأرنب والبطة